

الهروب من عبثية الواقع إلى وهمية العالم الافتراضي؛ رواية مملكة الفراشة لواسيني الأعرج أنموذجا
Escape From the Absurdity of Reality to the Illusion of the Virtual World
"the Butterfly Kingdom Novel by Wasini al Araj is a Model "

* د. يوسف اسمهان

Yousfi Ismahan

جامعة أبو القاسم سعد الله (الجزائر 2) (الجزائر)

University of Algiers 2 Abou El-Qacim Saadallah (Algeria)

yousfiismahan@gmail.com

تاريخ النشر: 2026/06/02

تاريخ القبول: 2026/04/16

تاريخ الإرسال: 2026/03/15

ملخص البحث

تعد رواية مملكة الفراشة للروائي الجزائري واسيني الأعرج من الأعمال السردية التي كشفت المحظور والمسكوت عنه في الواقع الاجتماعي الجزائري المعاصر، وهذا من خلال تصورها التحولات النفسية والاجتماعية التي عرفها الفرد الجزائري في ظل ظروف تاريخية قاسية. وتهدف هذه الورقة البحثية إلى إظهار قدرة الرواية الجزائرية على الغوص في أعماق الذات الإنسانية، والكشف عن آثار العنف والصدمة في البنية النفسية للفرد. وقد تناولت الرواية موضوع الهروب من الواقع المدمر إلى العالم الافتراضي بوصفه فضاءً بديلاً للعنف والانهيارات النفسية، حيث لجأت الشخصيات إلى الوسائل التكنولوجية باعتبارها ملاذاً نفسياً للتخفيف من وطأة الألم. ومن ثم نستنتج أن الرواية قد جسدت أزمة الفرد الجزائري، معبرة عن مآسيه وأحزانه وخيالاته، ومصورةً مرحلة تاريخية حساسة تمثلت في فترة العشرية السوداء وما أعقبها من تداعيات نفسية واجتماعية وثقافية. الكلمات المفتاح: واقع، عالم افتراضي، هروب، تكنولوجيا. عزلة

Abstract :

The novel Kingdom of the Butterfly by Algerian writer Wasini Al-Aaraj is among the works that reveal the tabooed and unspoken aspects of contemporary Algerian social reality, portraying the psychological and social transformations experienced by Algerians in harsh historical conditions.

This paper aims to demonstrate the Algerian novel's capacity to delve into the depths of the human psyche and uncover the effects of violence and trauma.

* د اسمهان يوسف: yousfiismahan@gmail.com

The novel addresses the theme of escaping from a destructive reality into a virtual world as a parallel substitute for violence and psychological collapse, where characters turn to technological means as a psychological refuge to alleviate their suffering. It can be concluded that the novel embodies the crisis of the Algerian individual, reflecting their tragedies, sorrows, and disappointments, while depicting a sensitive historical period represented by the Black Decade and its subsequent psychological, sound cultural repercussions.

Keywords: Reality; Virtual world ; Escape ; Technology ; Isolation.



مقدمة:

حاول الروائي الجزائري واسيني الأعرج في رواية مملكة الفراشة صياغة نصوص سردية مستوحاة من بؤس الواقع المعيشي وفقدان الأمل بالمستقبل، معتمداً أسلوباً سردياً مبتكراً، يضيف على أحداثه جاذبية خاصة، ليقدّم من خلالها صورة مأساوية للجزائر في تسعينيات القرن الماضي، واقع تشكل نتيجة السياسات الكولونيالية، وما أعقبها من سنوات عجز سيطرت عليها العزلة، وطوقها الخوف والترقب فكانت هذه الظروف مجتمعة كافية بأن تجعل الفرد الجزائري يعيش صراعات داخلية، حيث حاول الهروب من حاضر ضبابي الهوية والملاحم إلى عالم افتراضي أجمل، فجاءت الرواية كنص سردي يسعى إلى تفكيك العنف الأيديولوجي الفكري، واستكشاف آثاره النفسية العميقة التي تركت شروخاً غائرة في شخصية الفرد الجزائري، حيث عانت الذات الجريحة من حالات القلق والانكسار الداخلي، وحاولت ترميم نفسها في ظل عالم افتراضي لا يرحم، فالسؤال المطروح:

إلى أي مدى يمثل العالم الافتراضي في رواية مملكة الفراشة ملاذاً نفسياً للشخصيات للهروب من عبثية الواقع، وهل يحقق هذا الهروب تحرراً حقيقياً أم يعمق شعور الاغتراب؟ واعتمدت هذه الدراسة على المنهج التحليلي لتحليل لجوء بعض الشخصيات إلى وسائل التواصل الاجتماعي كوسيلة للهروب من الواقع.

أولاً: الفضاء الرقمي وتمثيلات مواقع التواصل الاجتماعي في الرواية

1/ حضور مواقع التواصل الاجتماعي في الرواية الجزائرية

تمتع اللغة بخاصية التجدد عبر الزمن، فهي قادرة على استيعاب المستجدات الفكرية والاجتماعية والتقنية، نظراً لما تتسم به من مرونة وقدرة على التطور عبر الأزمنة المختلفة، وتفتح اللغة الروائية بذلك المجال أمام المصطلحات الحديثة وأنماط التعبير الجديدة، لتوظيفها داخل البناء السردى بما يخدم الرؤية الفنية للكاتب.

فيرى عبد المالك مرتاض أن اللغة "كائن اجتماعي حضاري ينمو ويتطور بتطور المستعمل، ويتطور الثقافة والمعرفة لدى المتلقي" (مرتاض، 1998، 10)

واستطاع الروائي الجزائري أن يصور الواقع الذي يعيشه في كتابته السردية، إذ يعد المبدع ابن بيئته ومجتمعه، ويستجيب نصه الروائي للتطورات السياسية والاجتماعية والثقافية التي يشهدها المجتمع، وقد تم مزج الفن والجمال بالتكنولوجيا الحديثة، وتم توظيف مواقع التواصل الاجتماعي كمكون روائي في رواية مملكة الفراشة إلى جانب المكونات الأخرى، وتعد تلك المواقع "منصات إعلامية أو مجموعة من قنوات الاتصال المباشر المتخصصة في النشر والتفاعل ومشاركة المحتوى (الرسائل والصور والمقاطع الصوتية والمصورة) والتعاون على مستوى المجتمع والأفراد". (قمحية، 2017، 23)

ومواقع التواصل الاجتماعي مصطلح "يشمل منصات وسائل الإعلام الجديدة أو المواقع التفاعلية على شبكة الانترنت ذات المكونات الاجتماعية وقنوات التواصل العامة، وتتضمن إدراج أنظمة جديدة أيضا مثل فريند فيد Friend Feed وفيسبوك وأشياء أخرى يعتقد أنه من شبكات التواصل الاجتماعي" (قمحية، 2017، 23)

إن شبكات التواصل الاجتماعي والمواقع التفاعلية، أصبحت تمثل جزءا أساسيا ومهما في الحياة المعاصرة وفي الكتابة السردية، وتعدت كونها منصات تواصل، بل تحولت إلى بيئة ثقافية تنتج الخطاب، وتؤثر في الفكر والسلوك الهوية. وإن "أهل الإبداع الفني منذ بدء عصر التقنية أو التكنولوجيا، أبدوا تفهما جيدا للفرص التي تتيحها الأدوات والآلات وأجهزة البث والقياس المتطورة، ولم يقصروا في التقرب أو الإفادة منها على الأقل مداعبتها فنيا، أي تقديمها في أشكالهم الفنية من ناحية إيجابية حيناً، ومن ناحية ساذجة وسلبية حيناً آخر". (الخطيب، 2011، 36)

نرى بأن وسائل الإعلام و التقنيات الحديثة أسهمت في إحداث تحول جوهري في بنية النص الأدبي والفني، فقد أدرك الكتاب أهمية هذه الوسائل فوظفوها على المستويين الجمالي والفكري، مما أدى إلى ظهور أشكال فنية وسردية تعكس وعي المبدع بوسائل التواصل الحديثة، إما بتوظيفها كأداة للتقدم ونشر الوعي، أو كموضوع للنقد والسخرية.

1/2: الفيسبوك كوسيط للتفاعل الاجتماعي في الرواية

شهدت المجتمعات المعاصرة تحولات عميقة في أنماط التواصل الاجتماعي نتيجة الانتشار الواسع لوسائل التواصل الرقمية، وفي مقدمتها منصة الفيسبوك التي أصبحت فضاء افتراضيا للتفاعل ولبناء العلاقات الإنسانية، وقد انعكست هذه التحولات على الخطاب الروائي الحديث، فيعد الفيسبوك " شبكة تواصل اجتماعي مجانية منشرة على الانترنت، تسمح للمستخدمين المسجلين بإنشاء متصفحات أو صفحات شخصية، وتحميل الصور والفيديو والرسائل إلى العائلة والزملاء بهدف التواصل" (الخطيب، 2011، 24)

وعليه نستنتج بأن الفيسبوك تحول إلى عنصر فاعل داخل البناء السردية، يسهم في تشكيل مسارات الشخصيات والتعبير عن تحولات الواقع الاجتماعي والنفسي، فوظف الروائي الفيسبوك في الرواية بوصفه وسيطا للتفاعل الاجتماعي، يكشف من خلاله طبيعة العلاقات بين الشخصيات، ويبرز التوتر القائم بين الرغبة في التواصل والانفتاح، وبين الشعور والاعتزاز في ظل واقع مضطرب.

ونحن في الوقت الراهن " نواجه عالما زاحرا بالمتناقضات، يتوازي فيه تكتل دوله مع تفتت دويلاته، ولا يفوق نموه الاقتصادي إلا زيادة عدد فقرائه، وها هي شبكة الانترنت...ها هي تلك الشبكة وليدة الحرب الباردة، يروجون لها كأداة مثلى لإشاعة ثقافة السلام ونشر الوفاق والوئام بين الأنام، إنها البشرية تمارس هوايتها الأبدية في مزج الآمال بالأوهام" (الخطيب، 2011، 24).

تعرض شبكة الانترنت كأداة للسلام، لكنها في الواقع مرآة لطموحات الإنسان وأوهامه، ما يوضح أن التكنولوجيا لا تستطيع تجاوز التوترات البنوية للمجتمع، ويبرز دور الأدب في كشف هذه الفجوة بين الإمكانيات النظرية والواقع المعاش. وإن " كبار عالمنا يصدرون لصغاره حروبهم وصراعاتهم وأزماتهم، يفتتوها حروبا أهلية وصراعات عرقية ودينية ولغوية، وبطالة وتغريبا وتهميشا واستعبادا، وكل درجات هذا الطيف القائم لاستغلال أيامنا" (علي، 2001، 10) يعكس الواقع الكئيب الذي نعيشه آثار الصراع والاستغلال، فكيف جسدت الرواية رحلة الهروب من الواقع المأساوي إلى الوقوع في فخ الخيال الرقمي؟

ثانيا : الهروب من مأساة الواقعي إلى متاهات العالم الافتراضي.

2/1: تمثيلات العزلة والخوف في رواية مملكة الفراشة

نشرت رواية مملكة الفراشة للروائي الجزائري واسيني الأعرج عام 2013، وفازت بجائزة كنارا للرواية العربية عام 2015، وتدور أحداث الرواية في الجزائر خلال فترة الحرب الأهلية وما بعدها في ظل الحروب الظاهرة والخفية، حيث تكشف عن آثار العنف والتحول الاجتماعي والنفسية التي عاشها المجتمع. وتتمحور الرواية حول عائلة جزائرية تتعرض لتفكك مأساوي حيث يغتال الأب الزبير على يد مافيا الأدوية، كما تعاني الأم فريجة وهي مدرسة اضطرابا نفسيا حادا ينتهي بها إلى الجنون ثم الموت، وتختار الابنة ماريما الهجرة إلى كندا هربا من واقع العنف، بينما ينزلق الابن رايان إلى عالم المخدرات لينتهي به المطاف في السجن. و تظهر ياما بطلنة الرواية عازفة الكلارينات والصيدلانية كشخصية مأزومة تبحث عن الخلاص في العالم الافتراضي عبر علاقة عاطفية مع فادي أو فاوست الجزائري المغترب في اسبانيا.

في رواية مملكة الفراشة جاء النص السردي وفق رؤيتين، تصور الرؤية الأولى بؤس الواقع وقتامته أيام الحرب الأهلية في تسعينيات القرن الماضي، وفترة ما بعد العشرية السوداء والخراب اللاحق أيام العزلة، فتحكي الساردة عن بشاعة تلك الأيام "كنت متسربة في الوصول إلى البيت، تثبت المفتاح على وضعية واحدة ولا يتحرك إلا بصعوبة كبيرة وبعد محاولات يائسة، يكون قد تجمد فيها دمي، وتحول إلى قطعة تلج من شدة الخوف الذي يجتاحني كليا، لا يمكنني أن لا أسأله وأنا داخل رعشة الرية: ماذا لو كان قاتل مجنون معنوه يتعقبي؟" (الأعرج، 2013، 10)

فيعكس النص السردي الواقع الاجتماعي والثقافي والتاريخي الذي كتب فيه والذي تعيشه الشخصيات، فهو يحمل ملامح من حياة الناس وصراعاتهم النفسية والوجودية فإن " الكلام عن المتخيل (الأدب) يفضي إلى الكلام عن الفضاء السوسيو- تاريخي والجال الثقافي الذي أنتج فيه/ أو على غرار الأدب مهما تعددت المداخل وتنوعت المقاربات، لأن النص رغم خصوصيته الفردية الذاتية فهو في الغالب الأعم إنتاج مجتمع معين ووليد ظرف حضاري محدد، تقاطع في أماكن عديدة مع هذا المحيط ويتفاعل معه" (حمري، 2001، 37)

فبلغة شاعرية رمزية، وبأسلوب سردي يحكي عن قلق وجودي عميق صاحب الفرد الجزائري أيام العشرية وما تلاها، نقلت لنا الساردة حالات الاضطراب والخوف الداخلي المبهم، والذي شبهته بالقيامة واليوم الآخر، حيث تنهار الهوية وتعود الأشياء إلى حالتها الهلامية الأولى، وتواصل ياما تصوير أياها القلقة وذعرها المستمر "سأؤنا القلقة لا تشبه أي ساء أخرى، جوفاء مثل لعبة انتزعت عينها، خوف غريب يعتريني يشبه خوف اليوم الآخر الذي تشطح فيه الأشياء وتفقد كل ألوانها لتعود على تشكيلاتها الهلامية الأولى" (الأعرج، 2013، 41)

تأسست بين الرواية والمدينة علاقة وطيدة، إذ شكل الفضاء المدني عنصراً فاعلاً في تشكيل الخطاب السردى، حيث تعد المدينة فضاءً أساسياً في بناء الرواية والتي تعتبر بدورها "نتاج علاقات تتفاعل في المدينة بكل ما تعنيه الأخيرة من مظاهر العمران ونمط حياة واختلاط بين البشر وافتتاح على الآخر، فإن المدينة تبدو حاضناً لها من جهة وفضاءً لسردها من جهة ثانية، فضاء لأحيائها وأزقتها وشوارعها وحواريها وأحلام ساكنيها وحكاياتهم وشروط حياتهم وتفاعلهم وتآلفهم معا واعتراهم فيها وعنهما ومواقفهم منها وكشفهم لجمالياتها وقبحها" (كوسة، 2022، 117)

وبالعودة إلى المدينة الجزائرية في تسعينيات القرن الماضي وبداية الألفية نرى بأنها تحولت إلى مدينة خربة وفضاء مغلق "تعاين الاختناق رغم افتتاحهما، جراء الوضع الاجتماعي القتال، الذي قاد الأشياء لتحتل المرتبة الأولى في سلم القيم، وما على المرء سوى تقديسها، مما جعله ينفق ذاته من أجلها، وتتحول بدورها إلى سجن تنغلق على أهلها، تتقهقر فيها إنسانية الإنسان، فتحدث القطيعة بينه وبينها" (الشريف، 2010، 59)

وتبدأ الساردة في سرد أحداث مدينتها وما حل بها من دمار، حيث تكشف الرواية عن حجم المأساة الإنسانية التي خلفتها الحرب "على مدار العشر سنوات الحارقة أكلت الحرب الأهلية أكثر من 200 ألف إنسان، الجزء الأكبر منهم لم تكن هذه الحرب حربه، لم يكن هو من أشعلها، ولكن كان عليه إخماد نارها بجسده ولحمه" (الأعرج، 2013، 53)

يكشف هذا المقطع عن رؤية سردية عميقة تحمل الحرب مسؤولية تمزيق النسيج الاجتماعي وتحويل الإنسان إلى ضحية لصراعات لا يملك قرارها، فالمدينة هنا لا تقدم بوصفها مجرد فضاء مكاني للأحداث، بل تتحول إلى رمز للدمار الإنساني والجماعي، حيث يدفع الأبرياء ثمن العنف والاضطراب السياسي.

لقد خيم الموت على المدينة وحصد أرواحاً كثيرة، منهم ديف صديق طفولتها وحبيبها الأول الذي خسرت في خضم هذه الظروف القاتمة تقول "تبدأ حرب التقتيل اليومي، وتقعها عشر سنوات من الحرب الصامتة، ونخسر ديف الذي كان أنشطنا ليتحول إلى جرح مفتوح صعب أن ينغلق في مقبرتي الداخلية التي تكاثر عدد سكانها" (الأعرج، 2013، 15-16)

ديف الذي رفض مغادرة بلاده رغم كل الظروف الغامضة والخطر المحقق به "هذه أرضي لا أعرف تربة أخرى، هنا مات جدي وأمي وجزء مهم من أهلي، وهنا أموت" (الأعرج، 2013، 22)

كانت الأرض بالنسبة لديف رمزا للهوية والذاكرة وللبقاء الأبدي، رغم كل الظروف القاسية، فأعلن استعداداته للموت على أن يهرب من مدينته، مدينة أمه وأجداده التي التهمته في الأخير دون رحمة.

إن المدينة المنكوبة بدأ عدد موتاهها يكثر يوماً بعد يوم، وأصبحنا نشهد عبر أزقتها الضيقة حالات الخطف والقتل، فخصدت أرواح فلذات كبدها ونخبتهما واحداً تلو الآخر، فليس أولهم ولا آخرهم ديف "كان الحين الليلي يأتي هذه المرة

من الجهة الجنوبية للمدينة، حيث حصد الموت رئيس الأطباء في الجراحة الدماغية، هو واحد من المختصين القلائل في جراحة المخ، وهو أيضا من أشرف على عمليات جراحية للكثير من رؤساء الدول" (الأعرج، 2013، 63).

يكشف هذا المقطع عن تصاعد حدة العنف داخل المدينة وتحوله إلى واقع يومي، حيث تتزايد حوادث الخطف والقتل في الشوارع، فتتفقد المدينة تدريجيا أبناءها ونخبها، فاستهداف شخصية بارزة مثل رئيس الأطباء في الجراحة الدماغية لا يمثل مجرد حادثة فردية، بل يعكس تدميرًا منهجا لمقومات الحياة والمعرفة، الأمر الذي يعمق الشعور بالخوف والعجز، ومن ثم تتحول المدينة إلى فضاء طارد للطمأنينة، يدفع الفرد إلى البحث عن ملاذات بديلة للهروب من واقع مأزوم.

ويعد العنف أحد أبرز المحركات التي تشكل الواقع النفسي والاجتماعي للشخصيات في الرواية، إذ لا يقتصر أثره على الأبعاد الفردية فحسب، بل يمتد ليطال الجماعة بأسرها، محدثا حالة مستمرة من الخوف والاضطراب، " فالعنف ظاهرة اجتماعية تمس الفرد أولاً، لأنه المهدد بالعنف، وهي في ذات الوقت تمس الجماعة التي تعاني من تبعاته حين يفرض عليها قسرا، فالعنف يمارس تأثيره الجسدي والنفسي والاجتماعي على الفرد المهدد أولاً ومن ثم على المجتمع" (الحيدري، 2015، 210).

إن العنف ظاهرة اجتماعية تضرب الفرد الأعزل أولاً قبل أن تمتد لتطال المجتمع بأسره، فينهار الإنسان تدريجيا ويجد نفسه منعقلا على ذاته، عاجزا عن مواجهة هشاشة الحياة وتداعيات الصراعات التي تحيط به.

ومن بين ضحايا الحرب الأهلية في المدينة المعنفة أيضا الزبير أو زوربا والد البطلة" والذي أيضا كان ضحية شيء غامض، طلبوا منه أن يترك المخبر الوطني التابع لشركة صيدال الحكومية التي التحق بها بعد عودته النهائية إلى أرض الوطن، وينظم إلى مخبر السلام الضخم الذي كان يديره أحد الخواص" (الأعرج، 2013، 63)

نلاحظ أن اغتيال النخب في الرواية عكس مسارًا تصاعديا من استهداف الكفاءات العلمية والفكرية، حيث لم يعد العنف يقتصر على التهميش والإقصاء، بل امتد إلى التصفية الجسدية والموت العلن، بما يكشف عن انهيار منظومة القيم وتحول النخب إلى هدف مباشر لقوى الفوضى.

فبعد رفضه الانضمام إلى فريق مخابر صيدال يحذره وينصحه صديقه قائلا "ياعزيزي زبير، أنت تنطح حائطا صلبا، لا تلعب بحياتك لك من ينتظرك، زوجة وأبناء، الذي نعيشه مجهول وملتبس، لا نعرف أبدا من يفعل هذا، ما تعرف من وين تحيك الضربة؟" (الأعرج، 2013، 66)

يصور هذا المقطع مناخ الخوف والتهديد والترقب المستمر الذي يحيط بالشخصيات، حيث يحمل التحذير الموجه إلى الزبير من طرف صديقه دلالة على خطورة مواجهه واقع غامض تتحكم فيه قوى خفية، لكن ظل والد البطلة " الزبير" رمزا للجذر الصلب الذي لا يتقلع بسهولة، ظل متمسكا بقناعاته ووطنه وأرضه هو الآخر رافضا مبارحة المكان، رغم كل ما حوله من شتات وخراب، وفيما لهويته وذاكرته "ظلت كلمات والدي الحزينة تطن في رأسي: من أراد أن يقتلني فليأت، قاتلت عدوا خارجيا زمنا طويلا وكرّهت الدم وعفن الأجساد المتفسخة ظلما، أنساءل أحيانا كيف قبل هذا الرجل أن يترك مخابر ميير الشهيرة في نيويورك وباريس، ويعود إلى أرض قاتلة كان يهرب منها الناس، يغادرها بلا رجعة كل من وجد فرصة للهروب" (الأعرج، 2013، 93)

وظل شيخ الموت يحوم حوله، فحبه لوطنه لم يكن كافيا أبداً لحمايته من الموت المترص، بل كلفه ذلك حياته تحكي ياما عن والدها قتل "عند العتبة الخارجية لبيتنا، في حرب لا يدري إن كانت عادلة أم لا، كان يرفض أن يسميها الحرب الأهلية، لأنه كان يجد في كلمة الأهلية شيئا من العطف والحنان" (الأعرج، 2013، 114)

تظهر الرواية مدينة منهكة بفعل العنف والخراب، حيث بدت وكأنها قتلت أبناءها من أطفال وشباب وشيوخ، فانهارت أسسها العمرانية وتلاشى جبالها، وتحول فضاءها إلى عالم غريب وهش يفقد الاستقرار، فالكثير من "المواقع والجسور والأمكنة الحيوية التي نسفت، أعيد بناؤها أو عوضت بعض الجسور الإسمنتية بأخرى جديدة متنقلة يمكن تجميعها بسهولة، أو خشبية تقاوم إلى أجل مسمى، ربما حتى تسقط هي بدورها مثل بنايات المدينة العتيقة" (الأعرج، 2013، 52)

فلم يعد سكانها يخشون الموت وأصبح التقتيل والعنف أمر عادي جدا "الناس يعبرون نحو الجهة الأخرى بالجسر أو بدونه، تعودوا على الموت حتى أصبح لا يعنهم كثيرا، يموتون ولكنهم يعبرون مها كان الثمن" (الأعرج، 2013، 52)

أفرزت الحروب الأهلية آثارا ومآلات داخلية وخارجية عميقة، إذ دمرت البلاد ماديا وألحقت بها خسائر جسيمة، ثم أعقبتها حرب صامتة أنهكت الإنسان نفسيا، فأصبحت الأرض "الوطن" غير صالحة للعيش تبعث على الكثير من الأذى المادي والنفسي، تقول فيرجي والدة بطلة الرواية "أرضنا تنفرنا، هل تتصورين مقدار الشر، قتلت والدك وهجرت أختك وهبلتني وهبلت حبيبي ووحيدي راين" (الأعرج، 2013، 211)

فتموت فيرجي هي الأخرى بحسرتها "ماتت فيرجي في السكنية التي اشتبتها، وانتهى كل شيء وسقط الجسر الثاني في مدينة قلبي" (الأعرج، 2013، 214)

ككيف كان الهروب من القبح والدمار إلى عالم أكثر حرية وإنسانية؟

2/2: الفيسبوك كفضاء بديل للواقع في الرواية.

جاء السرد في رواية ملكة الفراشة وفق رؤية أولى واقعية للأحداث، ورؤية ثانية افتراضية للعالم عبر الفضاء الأزرق، وهي رؤية خيالية أصبحت عالما موازيا للعالم الواقعي، حيث حاول الكتاب الابتكار في طرق الكتابة السردية وهذا كله وفق أسس مترابطة وبدقة لا متناهية، من خلال الخروج عن التقاليد الفنية المألوفة والمعروفة، وإتباع نهج سردي مبتكر يعاصر تطورات وتحولات العصر، ومنها توظيف وسائل التواصل الاجتماعي كركائز في الأعمال الفنية والأدبية فيبدو أن الرواية بدأت تتجه هذا المنحى بتوظيفها التواصل الاجتماعي بشكل تفصيلي وموسع، وفي ضوء ذلك أصبح هذا التفكير التقني نسقا هيكليا متشابكا في العمل الفني، كما هو الشأن بالنسبة لحياتنا" (فيدوح، 2018، 08)

فترى بأن الكاتب قد جعل من الفيسبوك فضاء ومنطلقا لسرده، فبعد يوم شاق مثقل بالحيات والانكسارات في زمن الخوف والعزلة، تعود ياما بطلة الرواية الصيدلانية وعازفة الكلارينات في فرقة ديو جاز إلى بيتها فتفتح البطلة حاسوبها لمحادثة فاوست حبيبها الافتراضي، فتقول الساردة "أنا لا أملك الأسلحة الجبارة التي أقاوم بها خوفي ووحدتي إلا هذه المملكة الزرقاء التي تسمى الفيسبوك" (الأعرج، 2013، 24)

فلتخلص من عنف الواقع ومن "هذا الشعور بالاعتزاز تقدم وسائل الإعلام أساليب للهروب، فهي تقدم شبه مفعول الخمور أو المخدرات لبعض الناس، فهي ببساطة تجعلنا نناسي همومنا ومشكلاتنا" (الديهي، 2015، 25)

وإن الشعور بالاغتراب والانفصال عن الواقع يجعل الفرد في رحلة بحث مضنية عن وسيلة للهروب، وهنا يبرز الفيسبوك كعالم افتراضي بديل، يبدو في البداية كل شيء أكثر سهولة وجالاً، وفي خضم هذا العالم ينسى الهارب أنه مجرد منغلق على ذاته، غارق في نسيان مؤقت.

في رواية مملكة الفراشة تتماهى الألوان مع الأحلام، وتنسج الخيالات على أجنحة الضوء، ويبرز الفيسبوك كعالم افتراضي جميل وغريب وساحر، يجعل البطلة تتناسى الواقع شيئاً فشيئاً، وتغمر نفسها في المتعة الافتراضية، فتخلق مثل فراشة فتية في حديقة غناء مترامية الأطراف، حيث تنبض خيالاتها بالحياة وبالحب الرقمي مع حبيبها الافتراضي، ففي لحظة صفاء وحنين تخاطبه قائلة "فاوست حبيبي لك كل شيء، ما أملكك بلا استثناء، ولي فقط وردة من يديك وقبله مسروقة، في غفلة من القتلة، والركض معك في مدن التيه قبل الموت بسكرة العاشقة بين ذراعيك . ضحكك مني كعادته.

ههههههه

واصلت جنوبي وأحلامي الهاربة" (الأعرج، 2013، 25)

ونشير إلى أن أحداث الحرب الأهلية وما تلاها من حروب صامتة، كانت كفيلة للهروب من الواقع سواء بالانسلاخ الفعلي عنه والهجرة خارج البلاد، مثلاً فعلت توأم بطلة الرواية ماريا التي اختارت منفاهاً واتجهت إلى كندا هرباً من الموت، أو من خلال الهروب الافتراضي الذي أتاحته وسائل التكنولوجيا الحديثة مع نهاية القرن الماضي وبداية الألفية الجديدة مثلاً فعلت أختها بطلة الرواية "فتكنولوجيا المعلومات ما إن تغلق باباً حتى تفتح آخر أكثر رحابة واتساعاً، وذلك لما تنتجه من بدائل عديدة لإعادة تشكيل المفاهيم وإعادة صياغة العلاقات وإعادة بناء النظم" (زرفاوي، 2013، 24)

"حبيبي فاوست أصبحت هشة جداً لدرجة لم أعد أعرف نفسي، من يضمن لي أنني سأعيش طويلاً حتى أراك، أخاف أن يسرقني الموت قبل فوات الأوان في وضع الاحتراب واللا سلم التي تعيشها مدينتنا، وهو الأقسى غيابك حبيبي طال، وطاقتي على التحمل تجاوزت حدها" (الأعرج، 2013، 60).

ينقل هذا المقطع شعور البطلة بالهشاشة والاغتراب أمام واقع مدينتها المهدم، حيث يصبح الخوف من فقدان الموت جزءاً من تجربتها اليومية، وفي هذا الإطار يتحول الفيسبوك إلى فضاء افتراضي يتيح لها التعبير عن الحب والحنين، ويمنحها شعوراً مؤقتاً بالطمأنينة والاتصال، رغم هشاشة هذا العالم الافتراضي أمام الواقع القاسي.

إن "الأشخاص الذين يمضون أوقاتاً طويلة على مواقع التواصل الاجتماعي، يواجهون خطراً بالعزلة الاجتماعية، على الرغم من أن هذه المواقع قد صممت أساساً لتعزيز التواصل بين الناس" (قمحية، 2017، 39) و"تعد هذه النتائج بمنزلة تذكير بأن وسائل التواصل الاجتماعي ليست علاجاً للأشخاص الذين يشعرون بالعزلة الاجتماعية" (قمحية، 2017، 39).

إن مواجهة الواقع بالأوهام ليس الحل الأمثل، فالمتعة الافتراضية ليست علاجاً جذرياً، بل تعويضاً مؤقتاً يعكس ضعف الإنسان أمام الضغوط الاجتماعية والنفسية، وهذا ما ستكشفه لنا نهاية الرواية.

يخاطب المغترب الافتراضي فاوست ياما قائلاً "سنلتقي في عرض مسرحيتي لعنة غرناطة، انتبهنا من الترتيبات الأخيرة مع وزارة الثقافة والسياحة وحتى وزارة الداخلية، لقد تعبت سأعود إلى وطني" (الأعرج، 2013، 26).

يمثل الحبيب الافتراضي فاوست لبطل الرواية كل شيء، يغنيها عن عالمها الحقيقي ويزج بها في مملكة زوكيرغ الزرقاء، فالعنف بجمع أشكاله والخيالات المتكررة هي من دفعت البطلة للتمسك بحلم هارب ورجل لم تره يوما "أنا أرى فيه أي وأمي وأختي وأخي الذي أكلته هذه المدينة القاسية، ورهنت مملكتي كلها بين أصابعه وأذواقه وألوانه، صديقاتي اللواتي يسالغن عني وعنه أحيانا وعن لقائنا المؤجل دوما، لا أجد لهن إجابات مقنعة، يضحكن طويلا قبل أن يعلن: حب الفيسبوك من الهم للشوك" (الأعرج، 2013، 41).

حاولت والدتها نصحتها وإعادتها إلى طريق الصواب، قبل أن يسيطر عليها الانغماس في العالم الرقمي وتحترق مثل الفراشة، فالأشخاص على صفحات الفيسبوك مجرد نقاط خضراء، وكيانات رقمية "متى تعرفين أنك تحتاجين إلى رجل تاع الصح، وليس إلى صورة، مجرد ظلال تأتي عابرة ثم سرعان ما تنسحق وتموت في الضوء" (الأعرج، 2013، 153)

يبدو أن فيرجي والدة البطلة تدرك جيدا، أن الحروب تفعل الأعاجيب، وباستطاعتها الزج بضحاياها في خنادق من الأزمات النفسية، وحالات من اضطراب الهوية وعدم التمييز بين الحقيقة والخيال "إلى اليوم تعيشين على وهم رجل يسكن في الكمبيوتر فقط لا أكثر، انتهت الحرب الأهلية ولم يظهر وجهه، والحرب الصامتة في سنتها العاشرة ولم يظهر" (الأعرج، 2013، 154)

وفي ظل كوايس الخوف والأحلام الهاربة في مدينة حزينة محاطة بالسواد، وبعد سنوات انتظار مرهقة وطويلة من الوحدة والاشتياق، يأتي اليوم الموعود، اليوم الذي يحل فيه المسرحي الشهير فادي أو فاوست مثملا سمته البطلة المولعة بحب الأدب وبالأسماء والشخصيات الروائية ضيفا في وطنه، ويعود إلى أرضه وأرض أجدها الجزائر لعرض مسرحيته لعنة غرناطة "هاهو الابن الضال يعود اليوم إلى وطنه، إلى أرضه التي منحتة الحياة، ومنحها مسرحا كبيرا دافع فيه عن النور الذي كان يتجلى من الوطن، حتى في أحلك الظروف" (الأعرج، 2013، 465)

وتأتي اللحظة المنتظرة التي تلتقي فيها ياما بفاوست وجها لوجه وتعرفه بنفسها، وبأنها حبيبته الافتراضية لتكتشف الحقيقة المؤلمة وهي أنه لا يملك حسابا على الفيسبوك، فترسم لعنة الحزن والذهول والصدمة على محياها، وتغيب ياما عن الواقع للحظات في وسط هذه الدهشة محاولة استيعاب الموقف "أخذتني فجأة رجفة داخلية وأحسست بدوار، ولكن ابتكأت على المقبض الذي كان يفصل الجمهور عن الكاتب، بقيت لثوان أسأل نفسي إذا ما كنت أمام حقيقة أم في عمق دوار كابوس بلا حدود" (الأعرج، 2013، 470)

فتكتشف في الأخير بأنه متزوج وله ابن، وصفحة وحيدة على الفيسبوك يديرها قريب له مع زوجته كاميليا. "هناك صفحات كثيرة لا شأن لي بها، صفحة واحدة نهتني لها زوجتي، يديرها شاب من العائلة، ينقل فيها كل أخباري ونشاطاتي، له اتصال مع زوجتي، صفحة ليست مؤذية أبدا، يمكنك أن تتحدثي مع كاميليا زوجتي ووكيلتي الأدبية والفنية، هي هنا مع ابني" (الأعرج، 2013، 470)

فتتذكر أغنيها الشهيرة في فرقة الديو جاز التي تمثل أحلام الشباب المهزوم والمنكسر:

تسرق منا الأحلام

عبثا نبحث عن سفن تقتلنا.

عن رياح تعصف بجواسنا وشمسنا (الأعرج، 2013، 470)

تكشف لنا الرواية في الأخير، عن المصير المأساوي للشخصيات الباحثة عن ملاذ من قيود الواقع، محاولة الهروب إلى عالم افتراضي يزخر بالأحلام والخيال، حيث ظلت الأحلام مسروقة رغم كل المحاولات والوسائل الواقعية والافتراضية، فنكتشف في نهاية المطاف أن الهروب الافتراضي لا يخفف من وطأة الحياة ولا يعيد للأحلام رونقها، وتصبح مواجهة الذات والواقع الحاضر هي الحقيقية.

خاتمة:

رصدت رواية مملكة الفراشة الواقع بتمثلاته المرعبة والقاسية، فصورت عنف الواقع المادي فترة الحرب الأهلية، والخراب النفسي اللاحق في الفترة التي بعدها، وهذا كله في ظل نظرة حدائية معاصرة مستخدمة بذلك الوسائل التعبيرية الحديثة، ومواكبة بذلك أيضا تطورات العصر وعليه نستنتج:

- ✓ أثبتت الرواية أن اللجوء إلى العالم الافتراضي لا يمثل حلا جذريا لأزمة الواقع، بل يشكل آلية دفاع نفسي مؤقتة للتخفيف من حدة القلق والاعتراب الناتج عن واقع اجتماعي مضطرب.
- ✓ كشفت الرواية أن العالم الافتراضي، رغم ما يتيح من حرية في التعبير والتواصل، يسهم في إعادة إنتاج العزلة النفسية والاجتماعية، حيث تتحول العلاقات الافتراضية إلى بدائل هشّة عن العلاقات الواقعية.
- ✓ استخدمت الرواية الجزائية طرق فنية وسردية معاصرة، فمزجت بين التكنولوجيا والأدب، فشهدنا تلاخّفا بين الكتابة الروائية والتقنيات التكنولوجية المتطورة.
- ✓ توصلت الدراسة إلى أن الرواية توظف العالم الافتراضي كآلية سردية لكشف هشاشة الواقع الاجتماعي، وليس كبديل حقيقي عنه، مما يعكس رؤية نقدية لحدود التكنولوجيا في تحقيق السعادة والاستقرار النفسي.
- ✓ تجلّى الهروب من الواقع في أكثر من صورة، فتراوح بين الهروب الواقعي بمغادرة البلاد والتخلي عن الهوية والجذور، وبين الهروب إلى العالم الافتراضي.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم الحيدري. (2015). *سوسولوجيا العنف والإرهاب* (المجلد 1). لبنان: دار الساقى.
2. الشريف، حبيبة. (2010). *الرواية والعنف "دراسة سوسيولوجية في الرواية الجزائرية المعاصرة"* (Vol. 1 ط 1) الأردن: عالم الكتب الحديث.
3. حسام الخطيب. (2011). *الأدب والتكنولوجيا وجسر النص المفرغ* (المجلد 1). الدوحة: وزارة الثقافة والفنون والتراث.
4. حسان قمحية. (2017). *الفيسبوك تحت المجهر* (المجلد 1). القاهرة: دار النخبة.
5. حسين حمري. (2001). *فضاء المتخيل* (المجلد 1). سوريا: منشورات وزارة الثقافة.

6. عبد القادر فيدوح. (09 06, 2018). فضاء العنف في الرواية العربية الجديدة. أبوليوس.
7. عبد المالك مرتاض. (1998). في نظرية الرواية " بحث في تقنيات السرد" (المجلد ط1). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
8. علاوة كوسة. (28 02, 2022). دلالات المدينة ف روائح المدينة لحسين الواد. طينة للدراسات العلمية والأكاديمية.
9. عمر زرفاوي. (2013). الكتابة الزرقاء (المجلد 1\). الإمارات العربية المتحدة: الإمارات للطباعة والنشر والتوزيع.
10. محمد الدين اسماعيل الديمي. (2015). تأثير شبكات التواصل الاجتماعي الإعلامية على جمهور المتلقين (المجلد ط1). مصر: مكتبة الوفاء القانونية.
11. نبيل علي. (2001). الثقافة العربية وعصر المعلومات " رؤية المستقبل في الخطاب الثقافي العربي" (المجلد ط1). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
12. واسيني الأعرج . (2013). مملكة الفراشة (المجلد ط1). الإمارات العربية المتحدة: الصدى للثقافة والنشر والتوزيع.